

جيش الدولة وجيوش الدويلات

2020-09-14 عيد الامير المجر

لا أحد يعرف بالضبط متى تأسس اول (جيش) في العالم، وفي اية بقعة من الارض، لكن البشرية غالبا ما تعارفت الى بعضها من خلال الجيوش! اي عندما تغزو جماعة ما جماعة اخرى، وظلت هذه الثقافة البدائية سائدة الى اليوم، اختلف شكلها وبقي جوهرها.. والسؤال الذي يطرح نفسه، هل تأسس اول جيش من تلقاء نفسه ام ان هناك من عمل عليه وأعدّه في مكان ما من الارض، ليدحر به منافسيه القرييين قبل ان يصبح من خلاله الحاكم بأمره، ومن ثم يدحر الجماعات الاخرى الأبعد، لتأسس على خلفية ذلك الدول والممالك والامبراطوريات؟.. بلا ادنى شك ان قانون القوة ذاك هو من افرز تلك (الدول)، والذي تجلى من خلال تلك الجيوش، وهو الذي فرض ماسمي لاحقا بقوة القانون.

اي ان القانون الذي انضجه في ما بعد عقل الدولة، لاينفذ ولايحترم من دون وجوده قوة تقهر المتمردين عليه! ومن هنا جاءت عبارة (انفاذ القانون). والقوانين نفسها مرّت بمراحل عديدة قبل ان تصبح مقبولة نسبيا، وما زال امامها الكثير لتكون عادلة وموحدة لجميع البشر، لان قانون القوة السابق لها، يأبى ان يتراجع كثيرا، بل انه كلما تراجع بعض الشيء عاد واخذ مكانه القريب من قوة القانون حتى في المحافل الدولية الكبرى!

عندما تأسست الدولة العراقية في العام 1921 فإنها قامت على تركة قرون من التخلف والاهمال، وان سكان الولايات العراقية الثلاث لم يعرفوا ثقافة الجيش، سوى ما كانوا يسمونه (السفر بر) الذي يعني اخذ الشاب من بيت اهله عنوة ليجد نفسه في اقاصي حدود الامبراطورية العثمانية المشتبكة مع اعدائها في اكثر من جبهة وقتذاك، وقد يحالفه الحظ بالعودة بعد غيبة طويلة، وقد لايعود ابدا وهو ما كان يحصل غالبا.. لذا كانت هذه الصورة حاضرة في اذهان الناس البسطاء، ممن لم يتقبلوا في البداية، قانون (الخدمة الاجبارية) الذي عمل عليه مؤسسو الدولة العراقية الحديثة، لكي يجعلوا لها عمودا فقريا يمكنها من الوقوف على قدميها لتفرض القانون بالقوة ولتدحر قانون القوة، الذي كان سائدا، لاسيما بين العشائر المتنازعة باستمرار، نتيجة لغياب القانون وغياب القوة التي تجعله

نآفذا معآ؁ وكنآت هذآة وآآة من آكبر المعضلات التي وآآةآة المؤسستين.

وفي العموم كآنت لآينا نوة لجيش عراقي؁ آأسست قبل آأسيس الدولة بآكثر من سبعة آشهر؁ لكنه ظل يآآآ الكآثير ليكون جيشآ بالمعنى الحقيقي؁ وآول مآ يآآآه هو ان يستقطب آكبر عدد من الشبآب من مآآآلف (الوية) البلاد؁ وكان الهدف مزدوجآ؁ آي آلق ثقآفة وطنية من آلال هذآ المصهر الكبير الذي يلتقي فيه آبنآ العشآئر المآآآلفة على هدف وآآد هو الدفاع عن الوطن؁ ولسآب آكبر عدد منهم لتشكل قوة تقف بوجه من يآمرآ على الدولة وقوانينهآ.

وكنآت هذآة الثقآفة الجديدة؁ بمتآبة البداية لبنآ دولة؁ كآنت تتعثر بالكآثير من المطبات التي آعترضت مسيرهآ. يؤسفنآ القول؁ ان عرق آيوم؁ يعآني من ثقآفة قآنون القوة؁ التي تبنآهآ البعض على آسآب قوة القآنون؁ بعد ان فقدت الدولة قوة عمودهآ الفقري المتمثل بالجيش؁ وان عودتہآ كدولة لآتآآقق الآ بعودة الجيش قويا؁ لان التجارب القآسية علمتہآ وعلمت الكآثير من الدول؁ ان فلسفة الجيوش لآتآآزل بالدفاع عن آدود الوطن؁ بل بالدفاع عن آدود القآنون؁ الذي بآ يصنع الدول ويآمميہآ من بعض آبنآهآ ممن يآربصون بهآ ليقيموآ دويلآتهم وكنآتوناتهم آآصة؁ ويفرضوآ قوآنينهم على النآس!

الشوآهد التي تؤكآ هذآة الحقيقة كآثيرة وفي آكثر من بلد؁ وبآت شآآصة آمام الجميع.

* الآرآ الوآرآة في المقآل قد لآ تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبآ المعلومآية.